صناعة الفضيات ..

إبداع في التشكيل والزخرفة

يحيى المعولي:

صناعة الفضيات .. حرفة عرفها أجدادنا منذ زمن طويل

الفضيات

هي الجماليات عندما تتجلى وهي كنجوم السماء تتلألأ، عرفها من أمتهنها وأبدع في تشكيلها وزخرفتها، فاتخذها الرجل رمزاً للحل والأسفار واتخذتها المرأة مجدا وفخارا، حتى إذا ما تصادفا اكتملت اللوحة التي يبحث عنها كل فنان، هكذا توارث يحيى بن سعود بن محمد المعولي مهنة أجداده في صناعة الحلي العمانية وأبرزها صناعة الخناجر العمانية ولا سيما الخنجر السعيدي، ليكون متفرداً في عمله يحمله أمانة في أعناق أبنائه ليواصلوا مهنة أجدادهم التي توارثوها منذ 300 عام، «التكوين» اقتربت منه وخرجت بهذا الحوار الشائق.

حوار: بلقيس بنت محمد الهنداسية تصوير: حمود بن سالم الريامي

بما أن الجميع يعي أن صناعة الفضيات تُعد واحدة من أهم الحرف التي امتهنها المواطن العماني وأتقن صنعها، فلو حدثتنا عن بداية هذا الشغف منذ أجدادكم ومواصلة توطيده في نفوس أبنائكم.

هذه الحرفة الأصيلة عرفها أجدادنا منذ أكثر من ٣٠٠ عام، فتخصصوا في صناعة الخناجر، وحلي النساء والكثير من مشتقات الفضيات الأخرى، ولعل هذه الحرفة وغيرها من الحرف تعد إرثًا عظيمًا، ولابد منا نحن كآباء تعليمها لأبنائنا كما تعلمناها من آبائنا وأجدادنا، والمحافظة على أصالتها وهويتها العريقة من الاندثار.

من خلال مزاولتكم لهذه المهنة منذ مدة طويلة، كيف هو إقبال الناس للمشغولات الفضية سواء كان من المواطنين أم السُّواح؟

ربما حصلت فترة ركود في ظل وجود الجائحة التي اسأل الله أن يزيحها عن هذه الأمة، ولكن عمومًا بحمد من الله وفضله شهدنا إقبالًا جيدًا على هذه المشغولات، لأن العماني بطبيعته يحب التميز لاسيما في الأعياد، والأعراس، ومختلف المناسبات الاجتماعية، ولم يقتصر هذا الإقبال على مستوى الولاية أو المحافظة فقط، بل شهدنا إقبال المواطنين من مختلف المحافظات.

ومن جانب آخر لاقت هذه المنتجات إقبالاً من السائحين لشغفهم للتعرف على عاداتنا وتقاليدنا التي لازال المواطن العماني محافظاً عليها منذ القدم وحتى الآن ومستقبلا إن شاء الله.

من خلال هذه المهنة ما مدى الثقة المتبادلة بينكم وبين المواطن العماني عندما يقبل على هذه المنتجات ويرى الكوادر الوطنية تديرها وتشرف على صناعتها وإنتاجها وبيعها؟

وجود المواطن العماني في هذه المهن أو الحرف التقليدية دون غيره يعد أحد

الأسباب المهمة لخلق الثقة والارتياح، وزيادة نسبة الإقبال على شراء هذه المنتجات، فالعماني لديه الخبرة الكافية في المجال الحرفي، ولديه القدرة أيضاً على تطوير هذه الحرفيات إلى الطابع الحديث مع المحافظة على جودة صناعتها وأصالتها، ووجوده الدائم على هذه الأرض الطيبة يوجد الاطمئنان في حال أراد المشتري الرجوع إليه بأي وقت.

من ناحية تناقل المهنة، ما مدى تجاوب أبنائك لتعلمها، وكيف استطعت ترسيخ هذا الشغف في نفوسهم؟

بداية الأمر أنا لا أمانع أن يلتحق أبنائي في الأعمال الأخرى المرتبطة في القطاع العام أوالخاص أو أي مهنة تتلاءم مع ميولهم، ولكن مهنة «صناعة الفضيات» تُعد إرثًا تليدًا استطعت بعون الله تعالى غرس حبها في نفوسهم منذ الصغر، وكم أنا سعيد برؤيتهم ماضون على ذات الطريق التي سلكها أجدادنا، محافظون على هذه الحرفة آنيا ومستقبلا.

بالنسبة للمنافسة في هذه المهنة، كيف استطعتم الحفاظ على الجودة والأسعار المناسبة وجذب الزبائن لها من مختلف محافظات وولايات السلطنة؟

لعل من أهم الأسباب التي ساعدت في نجاحنا الأسعار التنافسية التي وضعناها؛ مما أدى إلى زيادة نسبة الإقبال والطلب، وربما يعود ذلك إلى عدم وجود عمالة وافدة تعمل معنا؛ فلذلك نحن غير ملزمين بدفع مرتبات شهرية قد تؤثر في زيادة أسعار هذه المشغولات على المستهلك. وكذلك موقعنا في ولاية وادي المعاول يجعل نسبة انخفاض ملموسة في إيجار المحلات.

ويجب أن لا نغفل أيضاً الدور المهم الذي تقوم به وسائل التواصل الاجتماعي في التسويق والترويج، وهذا ما ساعدنا في الانتشار واستقطاب الزبائن من مختلف محافظات السلطنة.

بماذا تتميزون عن غيركم من روّاد هذا المجال؟

نتميز عن غيرنا بتصنيع الخناجر السعيدية حيث تُعد من أشهر وأعرق أنواع الخناجر في السلطنة ويصنع مقبض «قرن» هذا الخنجر من قرن وحيد القرن ويعتبر من الدرجة الأولى، أو يصنع كذلك من العاج أو الخشب ويعتبر هذا من الدرجة الثانية، ويحتوي هذا النوع على سبع حلقات كما هو متعارف عليه منذ القدم، وتكون طريقة لبس هذا الخنجر بطريقة مستقيمة حيث يوجد في تصميم الحزام التابع له ما يساعد على ثباته وعدم ميلانه. وكذلك نتميز بصناعة «الأحزمة الزري» بدقة متناهية وبجودة مميزة.

ماهي أنواع الخناجر الأخرى التي تقومون بتصنيعها وماهي مميزاتها؟

نقوم بتصنيع "الخنجر النزواني" ويعود أصل تسميته بهذا الاسم نسبة إلى ولاية نزوى، ويصنع قرن هذا النوع من الخناجر من العاج الأفريقي الأصلي، وتكون طريقة نقشه بالنحت بأداة المسمار، وتحتوي على أربع حلقات فقط، ويتم ارتداؤه بشكل مائل، ويعد من أكبر أنواع الخناجر من حيث الحجم والوزن.

ونصنع «الخنجر الباطني أو الساحلي" نسبة إلى الولايات الساحلية من محافظة الباطنة، ويتميز هذا النوع من الخناجر بأنه أقل حجماً ووزناً من الخناجر النزوانية، إلا أنه يتشابه معها من حيث خصائص المقبض وعدد الحلقات.

والنوع الآخر "الخنجر الصوري" نسبة إلى ولاية صور بمحافظة جنوب الشرقية، وهي الأصغر من حيث الحجم والوزن، وتشترك أيضا بخصائص المقبض أو القرن مع الخنجر النزواني والباطني، ويتم تنسيق حزامها بالزخارف مع ما يناسب تفاصيلها.

لو أردنا الحديث عن»حلي المرأة « كيف وجدتم الإقبال على هذا النوع من المشغولات؟

الحمد لله لاحظنا إقبالا متزايدا على حلي النساء خصوصاً أوقات المناسبات، كالأعراس والأعياد، ويزداد الطلب على هذا النوع من الحلي في الأعياد الوطنية، ويوم المرأة العمانية، ويوم المعلم كنوع من الهدايا الفاخرة التي تتناسب مع هذه المناسبات، وهناك أمثلة عديده من انواع الحلي التي نقوم بتصنيعها مثل: الأساور والتيمبي والعقام، والخواتم وغيرها الكثير.

لو أحضر لكم الزبون تصميما معينا هل يتم تنفيذه كما يريد، أم هناك تصاميم ومشغولات ثابتة يقتصر عليها التنفيذ؟

نرحب بجميع الأفكار والتصاميم ونسعد بتنفيذها بكل دقة وإتقان شريطة أن لا تخرج عن الضوابط التي أقرتها وزارة التراث والسياحة والتي قد تفقد المشغولات الفضية عراقتها وأصالتها، فمن الممكن تغيير بعض المقاسات البسيطة، أو بعض الأفكار الإبداعية التي تجمع الحداثة مع صون العراقة والأصالة.

خلال الفترة المقبلة ماهي طموحاتكم المستقبلية التي تسعون لإنجازها فيما يتعلق بهذا المشروع؟ وهل هناك خطة واضحة للتوسع إلى فروع أخرى خارج الولاية؟

بإذن الله تعالى نسعى إلى تطوير وتوسعة المحل ليشمل أنواعًا أخرى لاسيما حلي النساء، والعصي والخواتم، والإنسان بطبيعته يسعى إلى أن يتطور ويتوسع في مجال عمله، وهذا ما نطمح إليه بلا شك في حال ملاءمة الظروف مستقبلاً لكن في الوقت الحالي ينصب جل اهتمامنا في هذا الفرع وتطويره بما يتناسب مع متطلبات الزبائن في الوقت الراهن.

بما يتعلق بالدعم والتشجيع الحكومي، هل هناك دور ملموس قدمته الجهات المختصة لدعم المشروع؟

نعم للجهات المختصة دور في دعمنا عن طريق إشراكنا في المناسبات الوطنية وغيرها من الفعاليات المهمة بطلب الخناجر والعصي وبعض الهدايا التذكارية التي تتعلق بحلي النساء، والكوادر الوطنية تستحق وتقدر الدعم والتشجيع من الجهات المعنية، وهذا الدعم هو دافع لبذل المزيد من العطاء والإنتاجية.